بسم الله الرحمن الرحيم

إِشْرَاقَاتٌ فِي سَبِيلِ اكْتِسَابِ الأَخْلاقِ

الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، شَرَّفَ أَصْحَابَ الْخُلُقِ بِشَرَفٍ عَظِيمٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ ﷺ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، مَنْ كَانُوا قُدْوَةً فِي حُسْنِ الخُلُقِ لِمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤمِنُونَ:

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَرَاقِبُوهُ فِي السِّرِّ وَالنَّجْوَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[1]، وَاعْلَمُوا – يَا عِبَادَ اللهِ – أَنَّهُ مَا تَقَرَّبَ الْإِنْسَانُ بِشَيْءٍ إِلَى اللهِ كَتَقَرُّبِهِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ؛ فَهِيَ الصِّفَةُ الَّتِي امْتَدَحَ اللهُ بِهَا نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا – عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ – فَقَالَ – جَلَّ وَعَلَا –: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وَإِنَّ الْمُتَأَمِّلَ لِلْآيَةِ لَيُدْرِكُ أَنَّ اللهَ لَمْ يَمْدَحْهُ بِكَثْرَةِ مَالٍ وَلَا عِيَالٍ – مَعَ أَهَمِّيَّتِهِمَا – بَلْ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ سَنَامُ هَذَا الدِّينِ؛ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ إِنْ رَبِحَ كُلَّ شَيْءٍ وَخَسِرَ حُسْنَ الْخُلُقِ! وَلَكِنْ مَا أَكْثَرَ مَا يَكْسِبُهُ إِنْ مَلَكَ حُسْنَ الْخُلُقِ وَخَسِرَ غَيْرَهُ مِمَّا هُوَ عَظِيمٌ عِنْدَ النَّاسِ، وَلَا قِيمَةَ لَهُ عِنْدَ اللهِ. وَقَدِ امْتَدَحَ اللهُ الْمُصْطَفَى ﷺ بِالرَّحْمَةِ الَّتِي هِيَ أَسَاسٌ مِنْ أُسُسِ حُسْنِ الْخُلُقِ، قَالَ – جَلَّ وَعَلَا –: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[3]، وَجَاءَ فِي فَضْلِ حُسْنِ الْخُلُقِ عَنْهُ – عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ –:((أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا))، وَقَالَ أَيْضًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا))،

(١) آل عمران: ١٠٢
(٢) القلم: ٤
(٣) آل عمران: ١٥٩

فَمَا أَوْلَى الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ حُسْنَ الْخُلُقِ عِنَايَتَهُ، وَلا اهْتَمَّتِ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ بِهِ لَوْلا مَزِيدُ فَضْلِهِ، وَعَظِيمُ مَنْزِلَتِهِ، رَزَقَنَا اللَّهُ جَمِيعًا حُسْنَ الْخُلُقِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ:

إِنَّ لِاكْتِسَابِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَسَائِلَ، مَنْ سَلَكَهَا نَجَحَ، وَمَنْ سَارَ عَلَى طَرِيقِهَا اسْتَقَامَ وَأَفْلَحَ، وَمِنْهَا تَصْحِيحُ الْإِنْسَانِ عَقِيدَتَهُ بَغَرْسِهِ الْإِيمَانَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فِي قَلْبِهِ، فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ حَقًّا، وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ صِدْقًا؛ لَنْ يَجْرُؤَ عَلَى إِسَاءَةِ خُلُقِهِ مَعَ أَيِّ إِنْسَانٍ، قَرِيبًا كَانَ أَوْ بَعِيدًا؛ لِأَنَّهُ يُدْرِكُ مَغَبَّةَ فِعْلِهِ، وَقَوْلَ خَالِقِهِ: ﴿ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴾[1]، وَأَنَّ ثَمَّةَ يَوْمًا ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2]، يُحَاسِبُ فِيهِ اللهُ عِبَادَهُ عَلَى خُلُقِهِمْ وَعَمَلِهِمْ وَلَوْ مَعَ الْحَيَوَانَاتِ، أَرَفَقَ بِهَا أَمْ عَذَّبَهَا، فَكَيْفَ إِنْ كَانَ قَدْ أَسَاءَ خُلُقَهُ مَعَ إِنْسَانٍ مِثْلِهِ! وَمِنْ وَسَائِلِ اكْتِسَابِ الْخُلُقِ – يا عِبَادَ اللَّهِ – الْعِبَادَاتُ؛ فَمَتَى حَافَظَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ وَأَدَّاهَا مُسْتَقِيمَةَ الْأَرْكَانِ كَانَتْ حِصْنًا لَهُ مِنْ سُوءِ الْخُلُقِ، وَمَانِعَةً لَهُ مِنَ التَّرَدِّي فِي الْأَعْمَالِ الْفَاسِدَةِ، وَإِذَا أَتَيْنَا – مَثَلًا – إِلَى الصَّلاةِ وَجَدْنَا الْآيَاتِ تُصَرِّحُ بِذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾[3]، وَإِذَا جِئْنَا كَذَلِكَ إِلَى الصَّوْمِ وَجَدْنَا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ : ((مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ، وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ))، وَهَكَذَا فِي الزَّكَاةِ، فَإِنَّ اللهَ – جَلَّتْ قُدْرَتُهُ – يَقُولُ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [4]، وَمِنْ تَزْكِيَتِهَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَحْسُنَ خُلُقُهُ بِتَأْدِيَتِهَا، فَضْلًا عَمَّا وَرَدَ فِي الْحَجِّ مِنْ قَوْلِ اللهِ – تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ –: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[5]، وَهَكَذَا، فَإِنَّ الْعِبَادَاتِ خَيْرُ مُعِينٍ لِلْإِنْسَانِ عَلَى

(١) القمر: ٥٣
(٢) البقرة: ٢٨١
(٣) العنكبوت: ٤٥
(٤) التوبة: ١٠٣
(٥) البقرة: ١٩٧

حُسْنِ الْخُلُقِ، وَمِنَ الْوَسَائِلِ الْمُعِينَةِ أَيْضًا التَّدَرُّبُ الْعَمَلِيُّ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِنْ حَرَصَ عَلَى أَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ، وَرَأَى الْمَوْلَى – تَبَارَكَ وَتَعَالَى – مِنْهُ صِدْقَ النِّيَّةِ هَدَاهُ إِلَيْهِ وَوَفَّقَهُ، جَاءَ عَنْهُ ﷺ : ((وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ))، وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ السَّعْيَ إِلَى ذَلِكَ وَالتَّعَوُّدَ لَهُ خَيْرُ مُعِينٍ لِإِصْلاحِ خُلُقِهِ، وَمِمَّا يُعِينُ عَلَيْهِ أَيْضًا التَّفَكُّرُ فِي مَآلَاتِ سُوءِ الْخُلُقِ مِنِ اكْتِسَابِ الذَّنْبِ، وَنُفُورِ الْبَعِيدِ وَالْقَرِيبِ، وَوَحْشَةِ النَّفْسِ، وَتَأْنِيبِ الضَّمِيرِ، وَعَدَمِ الرَّاحَةِ، وَالشُّعُورِ بِالضِّيقِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ جَرَّاءَ رُؤْيَةِ أَثَرِ سُوءِ خُلُقِهِ، وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيْهِقُونَ، قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارِينَ وَالْمُتَشَدِّقِينَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ)). فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللَّهِ – وَاعْلَمُوا أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ سَبِيلُ كُلِّ فَضِيلَةٍ، وَمَانِعٌ مِنْ كُلِّ رَذِيلَةٍ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

****

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ لَنَا فِي حُسْنِ الْخُلُقِ الْأَجْرَ، وَعَدَّهُ مِنْ أَفْضَلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصُ النَّاسِ عَلَى سُمُوِّ الْأَخْلاقِ، وَأَبْعَدُهُمْ عَنْ كُلِّ مَا يُنَافِيهِ مِنْ شِقَاقٍ وَنِفَاقٍ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْأَنَامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فِيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ مِنْ وَسَائِلِ الْإِعَانَةِ عَلَى حُسْنِ الْخُلُقِ مُصَاحَبَةَ الْأَخْيَارِ، فَإِنَّ الصَّاحِبَ سَاحِبٌ، فَإِنْ كَانَ صَالِحًا سَحَبَ صَدِيقَهُ إِلَى الْخَيْرِ، وَإِنْ كَانَ سَيِّئًا جَرَّهُ إِلَى الشَّرِّ وَالْعِيَاذُ بِاللهِ؛ وَلِذَلِكَ

كَثُرَتِ الْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ النَّاهِيَةُ عَنِ الصَّاحِبِ الْفَاسِدِ؛ لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ سَيِّئٍ عَلَى الْمُسْلِمِ، ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾[1]، وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ:((لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا))، وَهَكَذَا تَتَنَوَّعُ الْوَسَائِلُ لِاكْتِسَابِ حُسْنِ الْخُلُقِ، فَمِنْهَا أَيْضًا الانْغِمَاسُ فِي الْبِيئَةِ الصَّالِحَةِ، وَأَسَاسُ ذَلِكَ مُتَابَعَةُ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ؛ فَهُوَ خَيْرُ قُدْوَةٍ وَأَفْضَلُ مِثَالٍ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2].

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللَّهِ –، وَلْنَكُنْ مِنْ أُولِي الْأَخْلاقِ الْحَسَنَةِ، لِنَنَالَ كُلَّ أَجْرٍ وَفَضِيلَةٍ.

هذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[3].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

---

(١) فصلت: ٢٥
(٢) الأحزاب: ٢١
(٣) الأحزاب: ٥٦

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾